

نظريّة التّأويل في صفات الله تعالى  
دراسة مقارنة بين  
العلامة الحليّ وابن تيميّة

*The Theory of Interpretation on the  
Attributes of Allah Almighty  
A Comparative Study between Al-Allama  
Al-Hilli and Ibn Taymiyyah*

رؤيا الشّهابي  
أستاذة المعارف الإسلاميّة  
جامعة آزادي إسلامي / مشهد

*Ru'aya Al-Shihaby  
Prof. of Islamic Knowledge  
The Islamic Azadi University/Mashhad*



## ملخص البحث

بحث العلماء موضوع (التأويل) على اختلاف اختصاصاتهم؛ فتناوله المتكلمون، والمحدثون، والمفسرون في كتبهم، ومصنفاتهم ذات الصلة.

وأضحت مباحث (التأويل) وما يتعلّق بها من مسائل كظهور، وبطون القرآن الكريم ذات أهمية خاصة عند الباحثين، واكتسبت هذه المكانة من منطلق أنّها تمثل مدخلاً ضرورياً من مداخل استنباط المفاهيم القرآنية.

ويُعدُّ (التأويل) وأعماله مفتاح فهم مقصود كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وعليه فالداعي من اهتمام العلماء من مفسرين، وغيرهم لمسألة (التأويل) بوصفه مفتاحاً لفهم بعض الآيات وبيانها.

ومن هنا كانت بيانات النبي الأكرم ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام في معرفة القرآن تتضمن التفسير، والتأويل، وأحياناً لهم بيانات مفصلة في ذلك؛ فراجع.

وأما من كان يحوّض في التفسير، ولم يكن الدليل من أهل البيت عليهم السلام بأن تمسك بالتفسير اللغوي، والفهم الظاهري للقرآن؛ فهو في ضلالٍ بلا شك.

ومن الأسئلة التي تُطرح عادةً في سياق التأويل القرآني، هي:

الأول: هل وراء المعاني الظاهرية للقرآن معاني أخرى؟.

وإذا كان ثمة معانٍ أُخرى، وهي مُراد الله تعالى؛ فما وظيفة المعاني الظاهرية؟. ونلمسُ موافقة القرآن الكريم للتأويل، فقد أشارت لهذا المعنى بعضُ الآيات الكريمة، كما سيأتي إن شاء الله الحديثُ عنها في طيّات البحث؛ فترقّب. أسعى في هذا البحث للمقارنة بين النظريّة التأويلية لابن تيميّة، والعلامة الحليّ في صفات الله تعالى الخبريّة.

وقبل الدّخول في المباحث لا بدّ من مُقدّمة مُختصرة تتضمّن إطلاقةً سريعةً حول مصطلح (التأويل)، والاختلاف فيه، ومكانة التأويل في النصوص الدّينية، والنظريّات ذات الصّلة، وبيان الرّأي المناسب في المقام.

## Abstract

The scholars searched the topic of (interpretation) on their different specializations. It was covered by the speakers, hadiths, and interpreters in their relevant books and compilations.

The discussion of (interpretation) and related issues of the apparent and interior of the Holy Qur'an have become especially important for researchers, and have acquired this position on the basis that they represent a necessary entry point from the approaches to developing Qur'anic concepts.

(Interpretation) and its actions are the key to understanding what is meant by the words of Allah Almighty (But those in whose hearts is perversity follow the part thereof that is allegorical, seeking discord, and searching for its hidden meanings) Accordingly, the reason for the interest of scholars, interpreters, and others, of the issue of (interpretation) as a key to understanding and explaining some verses. Hence, the statements of the most honorable Prophet, peace be upon him, and the pure imams, peace be upon them in the knowledge of

the Qur'an, Include interpretation, and sometimes they have detailed data on it;As for those who were involved in exegesis, and the evidence was not from Ahlulbayt peace be upon them, and adhere to the linguistic interpretation and the outward understanding of the Qur'an. Undoubtedly, he is in aberrance.

Among the questions that are usually asked in the context of the Qur'anic interpretation are:

The first: Are there other meanings behind the outward meanings of the Qur'an?

If there are other meanings, which are the intention of God Almighty; What is the function of the outward meanings?

We feel the approval of the Holy Qur'an for interpretation, as some of the noble verses indicated for this meaning, as will come, Allah willing, to talk about it in the folds of research; Stay tuned.

In this research, I seek to compare the hermeneutical theory of Ibn Taymiyyah and Al-Allama Al-Hilli on the expert attributes of Allah Almighty.

Before entering into the discussions, a brief introduction is necessary that includes a quick overview of the term

(interpretation), the difference in it, the place of interpretation in religious texts, the relevant theories, and the appropriate opinion statement in the place.

## ١. آراء ابن تيميّة

### الأوّل: في التّأويل

يقول ابنُ تيميّة في بيان التّأويل في القرآن: إنّ لفظ (التّأويل) في القرآن يُرادُ به ما يُؤوّل الأمرُ إليه، إنّ كان موافقاً لمدلول اللفظ ومفهوماً في الظّاهر، ويُراد به تفسير الكلام وبيان معناه، وإن كان موافقاً له، وهو اصطلاح المُفسّرين المُتقدّمين كمجاهد، وغيره، ويُراد به صرفُ اللفظ عن احتمال الرّاجح إلى الاحتمال المُرجوح لدليلٍ يقترنُ بذلك.

وتخصيصُ لفظ التّأويل بهذا المعنى إنّما يوجد في كلام بعض المتأخّرين، فأما الصّحابة، والتّابعون لهم بإحسان وسائر أئمّة المسلمين كالأئمّة الأربعة، وغيرهم؛ فلا يخصّون لفظ (التّأويل) بهذا المعنى؛ بل يريدون بالتّأويل المعنى الأوّل، أو الثّاني.

ولهذا «لَمَّا ظَنَّ طائفةٌ مِنَ المتأخّرين أنّ لفظ (التّأويل) في القرآن، والحديث في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، «أُرِيدَ بِهِ هَذَا المعنى الاصطلاحيّ الخاصّ، واعتقدوا أنّ الوقف في الآية عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ لزم من ذلك أنّ يعتقدوا أنّ هذه الآيات والأحاديث معانيّ تخالف مدلولها المفهوم منها...»<sup>(٢)</sup>.

يبدو من ابن تيميّة في هذا النّص أنّ (التّأويل) هو صرفُ اللفظ عن احتمال الرّاجح إلى الاحتمال المُرجوح لدليلٍ يقترنُ بذلك.



وهذا يعني أن اللفظ في ظاهره لا يُعطي معنى آخر، و(التأويل) بهذا المعنى يترتب عليه أن للآيات، والأحاديث معاني تُخالف مدلولها المفهوم من العقل، وينشأ هنا تعارض بين العقل والنقل، ولكن إذا كان توافق بين الآيات، والأحاديث، والتأويل؛ فلا تعارض حينئذٍ.

وأما من يرى ثمة تعارضاً بين العقل والنقل، إمّا أن نقبل بكلّيهما، وهو جمع بين التقيضين، أو نقدّم النقل، ومن المُحال أن يتعارض النقل مع العقل؛ ففي نظرهم العقل الأصل، والأساس للنقل؛ فعندما ينتفي العقل ينتفي معه النقل<sup>(٣)</sup>.

يعدُّ ابن تيميّة اللفظ من الظاهر هو التأويل على اصطلاح ما ذهب إليه المتأخرون، ومنه فلا تُعدُّ دلالة اللفظ على الظاهر من التأويل؛ بل التأويل مخالفة المعنى ومدلول الكلمة؛ ومن هنا ففي نظر ابن تيميّة للتأويل ثلاث معانٍ:

١. التأويل هو الحقيقة الواقعية لمفهوم الكلام، ولا يكون مخالفاً للظاهر.

٢. التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق الظاهر، أم خالفه.

٣. دلالة اللفظ على الظاهر ليس تأويلاً، وإنما التأويل هو مخالفة المعنى ومدلول الكلمة.

وردَّ ابن تيميّة على معنى التأويل «من أنه صرف اللفظ عن احتمال الرَّاجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقتضيه بذلك»، وأعتقد أنه يخالف طريقة السلف<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا السياق نفسه، يقول: «لَمَّا ظَنَّ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ لَفْظَ التَّأْوِيلِ فِي الْقُرْآنِ، وَالْحَدِيثِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، أُريدَ به هذا المعنى الاصطلاحيّ الخاصّ، واعتقدوا

أنّ الوقف في الآية عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٥)</sup> لزم من ذلك أن يعتقدوا أنّ لهذه الآيات والأحاديث معاني تخالف مدلولها المفهوم منها، وأنّ ذلك المعنى المراد بها لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه الملك الذي نزل بالقرآن، وهو جبرائيل، ولا يعلمه محمد صلى الله عليه وآله، ولا غيره من الأنبياء، ولا تعلمه الصحابة، والتّابعون لهم بإحسان، وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله كان يقرأ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وغير ذلك من آيات الصّفات، ويقول: (ينزل ربنا كلّ ليلة إلى سماء الدنيا)، ونحو ذلك، وهو لا يعرف معاني هذه الأقوال، بل معناها الذي دلّت عليه لا يعلمه إلا الله، ويظنون أنّ هذه طريقة السلف.

هؤلاء أهل التّضليل، والتّجهيل الذين حقيقة قولهم: إنّ الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالّون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء...»<sup>(٥)</sup>.

وعليه فابن تيميّة لا يرتضي ما قاله المتأخرون من المعنى الاصطلاحيّ للتّأويل، ويعتقد كلّ أهل العلم يدرك معاني الآيات حتّى المتشابهات، وهكذا ظواهر الآيات، لكنّ المعنى الحقيقيّ للآيات لا يعلمه إلا الله تعالى.

ويذهب ابن تيميّة من أنّ التّأويل في رؤية المتأخّرين، ومفادها الظواهر القرآنيّة، والحديث تخالف العقل، فلا بدّ من تأويل ظواهر القرآن، والحديث حذرًا من التناقض والتّضاد؛ فيضحى بالحقيقة أنّ ليس هناك من تعارضٍ أساسًا بين العقل والنقل.

وبيّن ابن تيميّة في هذا الباب ثلاثة أصولٍ يمكن عدّها محور عقائده وآراءه، وهي:

١. العقل يوافق القرآن والحديث، ولا تعارض بينهما أبدًا.

٢. تعارض المسائل العقليّة للحكماء، والمتكلّمين مع النقل، وهذا باطل.

٣. يخالف العقل السليم، والخالص والصريح أقوال الحكماء، والمتكلمين<sup>(٦)</sup>.

وبناءً على ذلك إنَّ ما يؤمن به ابن تيميَّة: العقلُ لا يعارض نصوصَ القرآن والحديث، ومعه لا يُفهم من التَّأويل المعنى الاصطلاحيَّ له<sup>(٧)</sup>.

### الثاني: جسمانيَّة الله وهروب ابن تيميَّة من تأويل ذلك

ينفي ابن تيميَّة الجسمانيَّة عن الله سبحانه وتعالى في ظاهر كلامه، كالشيعة، والمعتزلة، والجهميَّة، قبال من أثبت الجسمانيَّة لله تعالى، وهم المُجسِّمة والمُشبِّهة.

وأمَّن جماعةً من اختيار السُّكوت، وعدم النفي والإثبات في هذه المواضع، وتصف الله كما وصف نفسه في القرآن، ولا يجوز تأويل ذلك.

وإنَّ ابن تيميَّة، وإنَّ كان لا يصرِّح بكونه سبحانه جسمًا؛ لكنه يصرِّح بأنَّه لم يرد عن الصَّحابة، والتابعين أنَّ الله ليس بجسم، يقول: «وأما الشَّرع؛ فمعلومٌ أنَّه لم ينقل عن أحدٍ من الأنبياء، ولا الصَّحابة، ولا التابعين، ولا سلف الأُمَّة أنَّ الله جسمٌ، أو أنَّ الله ليس بجسم، بل النفيُّ والإثبات بدعةٌ في الشَّرع».

ويقول أيضًا: «وأما ذكر التَّجسيم، وذمُّ المُجسِّمة؛ فهذا لا يعرف في كلام أحد من السَّلف، والأئمَّة، كما لا يُعرف في كلامهم أيضًا القولُ بأنَّ الله جسمٌ، أو ليس بجسم...»<sup>(٨)</sup>.

وصرِّح أيضًا في هذا المجال: «أما القولُ بأنَّه جسمٌ، أو ليس بجسم؛ فهذا ممَّا تنازع فيه أهلُ الكلام، والنَّظر، وهي مسألةٌ عقليةٌ... والنَّاس فيها على ثلاثة أقوالٍ: نفيٌّ، وإثباتٌ، ووقفٌ وتفصيلٌ، وهذا هو الصواب الذي عليه السَّلف...»<sup>(٩)</sup>.

وعليه فنظريَّة ابن تيميَّة في جسمانيَّة الله تعالى لها ثلاثة وجوه:

الأوّل: من منظارِ التّأويل؛ فالآيات المُتشابهةُ تأوّل إلى معانٍ مُناسبة، ويلزم منه القول بنفي جساميّة الله سبحانه، وفي الواقع هؤلاء ينفون الصّفاتِ عن الله تعالى.

الثّاني: من منظار المُشبّهة، والمُجسّمة هذه الآيات نحملها على المعاني الظّاهريّة لها؛ فعندهم يمكن أن يكون الله جسمًا.

الثّالث: قول المفوضّة ردّوا على المُشبّهة، والمُجسّمة، وأبدوا نظرًا في معاني هذه الآيات.

وكما يعتقد ابن تيميّة لم يردّ في الكتاب، والسّنة من أنّه جسمٌ، أو ليس بجسمٍ، واختار الشقّ الثّالث، ولا يجوز تأويل الصّفات، وكذلك الصّفات الفعلية لله تعالى ذات دلالة، أو واردة في الخبر، وهذا يكفي.

وبالجُملة يرى ابن تيميّة أنّه لم يردّ نفيًا، أو إثباتُ الجسم لله تعالى، لا في الكتاب، ولا السّنة، ولا السّلف<sup>(١٠)</sup>.

### الثالث: الصّفات الخبريّة لله تعالى ومنهج ابن تيميّة بالتّجسيم

قسّم المتكلّمون الإسلاميون صفاتِ الله على أقسامٍ مختلفة، ومنها: إلى ذاتيّة، وخبريّة، والمراد من الأولى أوصافه المعروفة: من العلم، والقُدرة، والحياة.

والمراد من الثّانية: ما أثبتته ظواهرُ الآيات، والأحاديث له سبحانه من العلوّ، والوجه، واليدين إلى غير ذلك، وقد اختلفت نظريّات المتكلّمين في تفسير هذا القسم من الصّفاتِ إلى أقوالٍ:

### الأوّل: الإثبات مع التّكييف، والتّشبيه

زعمت المُجسّمة، والمُشبّهة أنّ الله سبحانه عينيّن، ويدين، مثل الإنسان.

قال الشهرستاني: «أما مُشَبَّهة الحَشَوِيَّة فقد أجازوا على ربِّهم الملامسة والمصافحة، وأنَّ المسلمين المُخلصين يعانقونه سبحانه في الدُّنيا، والآخرة إذا بلغوا في الرِّياضة والاجتهاد إلى حدِّ الإِخْلَاص»<sup>(١١)</sup>.

### الثَّاني: الإِثبات بلا تكييف، ولا تشبيه

إنَّ الشيخ الأشعريَّ، ومن تبعه يُجْرُونَ هذه الصِّفَاتِ على الله سبحانه بالمعنى المُتبادر منها في العُرف، لكن لأجل الفرار عن التَّشْبِيهِ يقولون: «بلا تشبيه، ولا تكييف».

يقول الأشعريُّ في كتاب الإِبانة: «إنَّ لله سبحانه وجهًا بلا كيفٍ، كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وإنَّ له يديْن بلا كيفٍ، كما قال: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾».

وليست هذه النظرية مختصةً بالأشعريِّ؛ فقد نُقِلَ عن أبي حنيفة أنَّه قال: «وما ذكر الله تعالى في القرآن من الوجه، واليد، والنَّفس؛ فهو له صفاتٌ بلا كيفٍ».

وقد نُقِلَ عن الشَّافعيِّ<sup>(١٢)</sup>، أنَّه قال: «وُثِّبَتْ هذه الصفات، ونفِي عنه التَّشْبِيهِ كما نفِي عن نفسه؛ فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾».

وقال ابن كثير: «نحن نسلك مسلك السلف الصالح... وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف، ولا تشبيه»<sup>(١٣)</sup>.

وحاصل هذه النظرية أنَّ له سبحانه هذه الحقائق لكن لا كالموجودة في البشر؛ فله يَدٌ وعَيْنٌ، لا كأيدينا، وأعيننا؛ وبذلك توفَّقوا على حسب زعمهم في الجمع بين ظواهر النُّصوص، ومقتضى التَّنْزِيهِ.

### الثالث: التفويض

وقد ذهب جمعٌ من الأشاعرة، وغيرهم إلى إجراء هذه الصفات على الله سبحانه مع تفويض المراد منها إليه.

قال الشهرستاني: «إن جماعة كثيرة من السلف يُثبتون صفاتٍ خبريّةً مثل اليدين، والوجه ولا يؤوّلون ذلك، إلا أنّهم يقولون إنّنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه، مثل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ومثل قوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات؛ بل التّكليف قد ورد بالاعتقاد بأنّه لا شريك له، وذلك قد أثبتناه»<sup>(١٤)</sup>.

وإليه جنح الرّازي، وقال: «هذه المتشابهات يجب القطع بأنّ مراد الله منها شيءٌ غير ظواهرها، كما يجب تفويض معناها إلى الله تعالى، ولا يجوز الخوض في تفسيرها»<sup>(١٥)</sup>.

وهذه المجموعة فضلاً عن أنّها تتجنّب تأويل الصفات مع الحفاظ على المعاني اللغويّة للألفاظ، وبنحو ما حاولت التخلص من التّشبيه، والتّجسيم، وما هذا إلا نوعٌ من الاحتياط الذي لا ينسجم مع الظاهر.

ويعدّ ابن تيميّة من أنصار النزعة الظاهرية الذين لا يُجيزون تأويل الصفات، ويكتفون بالمعنى الظاهريّ.

ويعتقد هؤلاء أنّ هذه الصفات لها حقيقة، ولكن الكيفيّة غير معلومة، فهم يؤمنون بذلك من دون سؤالٍ عن الكيفيّة، وزعموا أنّ بعض الآيات القرآنيّة تبثّ هذه الدّعى!!

وأما الآيات التي تصفّ الله تعالى بأنّ له وجهًا، وعينًا، وغيرهما فهذه صفاتٌ ثابتةٌ له، إلا أنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(١٦)</sup>.

ويقول ابن تيمية في هذا المضمار: «... فالسلف من الصحابة، والتابعين وسائر الأمة، قد تكلموا في جميع نصوص القرآن، آيات الصفات، وغيرها، وفسرها بما يوافق دلالتها، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن...

ثم إن الصحابة نقلوا عن النبي ﷺ أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنع من تفسير آية» (١٧).

وفي نظير ابن تيمية للصفات يجريها على الله سبحانه بنفس المفاهيم اللغوية، والمعاني الابتدائية، والمدلولات التصورية، بلا تصرف، وتعليل وتدخّل فيها، والله سبحانه يتصف بها لكن بلا تكييف...

وهذا القول يثبتها بالمعاني نفسها؛ لكن بلا تكييف.

ويذكر ذلك في رسائله، ويقول: «والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواءً يليق بجلاله، ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ولا يجوز أن نثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم؛ فكذلك هو سبحانه فوق العرش، ولا نثبت لفوقيته خصائص فوقيّة المخلوق على المخلوق، ولو أزمها» (١٨).

ويقول أيضًا: «ومذهب السلف بين التعطيل والتتمثيل؛ فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، فيعطّلون أسماءه الحسنى، يجرّفون الكلم عن مواضعه.

أمّا المعطلون؛ فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التتمثيل والتعطيل، مثلوا أولاً، وعطلوا آخرًا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته، بالمفهوم من أسماء

خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقّه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه»<sup>(١٩)</sup>.

جربها على الله سبحانه بمفاهيمها التّصديقيّة، بعد الإمعان في القرائن الموجودة في نفس الآيات والروايات الصّحيحة.

وأما غيرهما، فأكثر ما ورد في ذلك من وضع الأخبار، والرّهبان الذين دسّوا هذه الأحاديث بين المسلمين بخداع خاصّ...<sup>(٢٠)</sup>.

وفي هذا الإطار ينقل لنا الرّحالة ابن بطّوطة في كتابه عن ابن تيميّة فيقول: «وكنْتُ إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ النّاس على منبر الجامع، ويذكّرهم فكان من جملة كلامه، أن قال: إنّ الله ينزل إلى سماء الدّنيا كنزولي هذا، ونزل درجةً من درجة المنبر؛ فعارضه فقيه مالكيّ يعرف بابن الزّهراء، وأنكر ما تكلم به؛ فقامت العامّة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي، والنّعال ضرباً كثيراً...»<sup>(٢١)</sup>.

ويّضح ممّا تقدّم أنّ تفسير ابن تيميّة للصفات الخبريّة يقتضي التّجسيم، كما هو واضح.

#### الرابع: رؤية الله يوم القيامة

يؤمن ابن تيميّة أنّ الله تعالى يرى يوم القيامة، وبهذا يتفق مع بعض المتقدّمين؛ إذ زعموا أنّه يتوافق مع ظاهر القرآن، والحديث، والعقل، وذكروا بعض الآيات للتّدليل على مطلبهم، وإليك إيّاها:

١. ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾<sup>(٢٢)</sup>.

٢. ﴿عَلَى الْأَرْئَاكِ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢٣)</sup>.



٣. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٢٤).

واستدل ابن تيمية بحديث عن النبي الأكرم ﷺ، يرويه مسلم في صحيحه، قال ﷺ: «اعلموا إن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت» (٢٥).

عبر مطالعة كتب ابن تيمية يتجلى بوضوح نزعة التطرفية في الدفاع عن أصول الحنابلة ومحدثيهم، ومن تلك الآراء التي حاول الدفاع عنها هي رؤية الله تعالى يوم القيامة، وتهجم على المذاهب الأخرى، وخصوصاً الشيعة الذي كان ينعتهم بالرأفة، إلا أنه في موقفه هذا وقع في تناقض واضح، وسأذكر هنا مثالين على ذلك:

الأول: يقول ابن تيمية: «يعتقد أكثر الشيعة كما يعتقد داوود الجواهري، ومقاتل ابن سلمان من أن الله جسم، وله أعضاء؛ فله صورة إنسان من لحم، ودم، وجلد، ودم، وعظم، وأيضاً له أعضاء جوارح من الرأس، واللسان، والعين، واليد، والرجل، مع أنه ليس كمثل شيء، ويقول هشام بن سالم الجواليقي (٢٦): إن الله على صورة إنسان، أعلاه مجوف، وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ، وله حواس خمس، ويد، ورجل، وأنف، وأذن، وعين، وفم...» (٢٧).

الثاني: يذكر أن كبار علماء الشيعة ينقلون عن النبي الأعظم ﷺ: إن الله تعالى ينزل ليلة الجمعة إلى الأرض، وحديث آخر: وإنه رأى ربه في الطواف، وآخر: أنه رأى ربه في بطحاء مكة، وغيرها من الأحاديث، ويكتب ابن تيمية هذه الأحاديث نُقلت عن طريق محدثين كذابين، ومن نقل هذا النوع من الأحاديث هم الشيعة، وهذا كذب على النبي الأكرم ﷺ (٢٨).

لا ينفي العجب من هذا المفترى على الشيعة، وهشام بن سالم فمن جهة ينفي رؤية الله تعالى في الدنيا؛ لأنه أجل من ذلك إلا أنه في الآخرة يرى، مع أنه يلزم منه الجسمية،

وفي الوقت نفسه يحاول ألاّ يصرّح بها، والغريب يتّهم الشيعة من أنّهم يعتقدون أنّ الله جسمًا، وله أعضاء، و...

وهذا افتراءٌ عظيمٌ لا يخفى على الباحث المتتبّع (٢٩).

وبالجُملة: أحيانًا ينفي ابن تيميّة رؤية الله تعالى، ويردُّ عليهم بإشكالاتٍ، وفي مواردٍ آخر نلاحظه في صفِّ المعتقدين بجسمانيّة الله.

وفي ظلِّ هذه المُعطيات يتجلّى لنا موقف ابن تيميّة من أنّه يعتقد أنّ الله جسمٌ، وله أعضاءٌ، وجوارح، ومن جُمَلتها الرأس، والعين، واليد، والرّجل، و...

ويصرّح ابن تيميّة في موضعٍ آخر في إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة مستندًا في ذلك إلى حديثٍ يرويه عن النبيّ الأعمش عليه السلام: «إنّكم سترون ربّكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألاّ تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها؛ فافعلوا» (٣٠).

وعبر التأمّل، والبحث يمكن أن يقال من أنّ ابن تيميّة هكذا يوجه قول الله تعالى لموسى (صلى الله على نبيّنا وآله وعليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكِ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ويعقب عليها: أنّ هذه الآية تنفي الرّؤية في دار الدُّنيا؛ أمّا بالأخرى من المقطوع به أنّنا نرى الله تعالى، وكان طلبُ موسى في الدُّنيا.

ولكن لا نعلم بمَ استند في هذا، وما دليُّه؟، أمّا ما ذكره من حديثٍ؛ فهو:

أولاً: لا يعلم قائله.

ثانياً: وما الكتاب، والمرجع لهذا الحديث، ومن الذي عدّه دليلاً.

### الخامس: الله في جهة

يعتقد ابن تيمية أن الله في جهة، وهو فوق العالم، وفي الوقت نفسه يعدّ الله ليس بجسم، وسعى في هذا السياق لحشد أدلة على مدّعا مع أن الجهة تعدّ من الصفات الخبرية التي لا يمكن تأويلها، وما ورد في هذا المجال من الآيات، والأحاديث التي تتحدّث عن الله وأنه في السماء، وبما أن الصفات الخبرية لا تأوّل؛ فهذا المعنى صحيح.

كما أن الأشاعرة تنفي وجود الله أعلى العرش، أو في السماء، وردّوا على من قال، وكذا المعتزلة، والشيعية نفوا الجهة عن الله تعالى.

ويقول ابن تيمية في هذا الإطار: «... في إطلاق لفظ الجهة ثلاثة أقوال؛ فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهذا النزاع موجود في المثبتة للصفات من أصحاب الأئمة الأربعة، وأمثالهم، ونزاع أهل الحديث والسنة الخاصة في نفي ذلك، وإثباته نزاع لفظي ليس هو نزاعاً معنوياً»<sup>(٣١)</sup>.

لقد تكرر إثبات الجهة، والمكان لله سبحانه<sup>(٣٢)</sup> في كلمات ابن تيمية في (منهاج السنة)، ويكفي في ذلك العبارتان التاليتان:

١. «إذا قيل إنه في جهة كان معنى الكلام أنه هناك فوق العالم حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع عالٍ عليه»<sup>(٣٣)</sup>.

٢. «وجهور الخلف على أن الله فوق العالم، وإن كان أحدهم لا يلفظ بلفظ الجهة؛ فهم يعتقدون بقلوبهم ويقولون بألسنتهم ربهم فوق»<sup>(٣٤)</sup>.

وفي ضوء ما تقدّم يتّضح من أنّ رأي ابن تيميّة هو أنّ الله تعالى فوق العالم.

فضلاً عن هذا؛ فهذا الكلام لا دليل عليه، ولا محصل منه، ولا أساس له يلزم من هذا الكلام أنّه التّحت يخلو من الله، وهذا يعني أنّه تميّز الله؛ فيكون له مكان من أنّه فوق لا تحت، ومنه يلزم الجسميّة المُقتضية للجهة لا محالة.

لعلّ قائلًا يقول: ابن تيميّة لم يصرّح من أنّ الله جسمٌ؟.

نقول: هذا يتّضح من لوازم كلامه، وفحوى بعض كلامه من دون ريبٍ.

### السادس: جلوسه سبحانه على العرش

يستمرُّ ابن تيميّة في بحث الصفات الخبريّة، وأتمّها لا تأوّل، ومن جملتها إثبات جلوس الله سبحانه على العرش، يقول: «ثمّ إنّ جمهور أهل السنّة يقولون: إنّهُ ينزل ولا يخلو منه العرش، كما نقل ذلك عن إسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته»<sup>(٣٥)</sup>.

وقال في شرح حديث النُّزول: «والقول الثّابت هو الصّواب، وهو المأثور عن سلف الأئمّة، وأتمّتها أنّه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرشُ منه مع ذنوّه، ونزوله إلى السماء، ولا يكون العرش فوقه».

ويقول في موضعٍ آخر: «وقال أهل السنّة في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة، لا على المجاز»<sup>(٣٦)</sup>.

وفي هذا السّياق ينقل ابن تيميّة ما قاله مالك بن أنس عندما سُئل عن قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أنّه كيف استوى؟.

قال: «الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ».

وكذلك بيعة قبله فين مالِك أن معنى الاستواء معلومٌ، وأن كَيْفِيَّتَهُ مجهولةٌ؛  
فالكيفُ مجهولٌ، وهو من التَّأْوِيلِ الذي لا يعلمه إلا اللهُ...» (٣٧).

ويقول: «... إذا سألوا شيئاً عن ذلك لم ينفوا معناه، بل يُثبتون المعنى، وينفون  
الكيفيَّة...» (٣٨).

يحكم ابن تيمية: (الكيف مجهول)، والفرق بين العبارتين واضحٌ؛ فالأوَّلُ يهدف إلى  
التَّنْزِيهِ، والثَّانِي يناسب التَّجْسِيم؛ إذ معناه أن لا استوائه على العرش كَيْفِيَّةٌ من الكيفيَّاتِ،  
ولكنَّها مجهولةٌ لنا.

ويعدُّ ابن تيمية الاستواء على العرش من الصِّفَاتِ الفعليَّةِ لله تعالى، إلا أن الكيفيَّةِ  
مجهولةٌ، ولا يعلمها إلا اللهُ، وهكذا أيضاً الصِّفَاتِ الخبريَّةِ الأخرى كالمجيء من  
الصِّفَاتِ التي لا يمكن للعقل تأويلها.

وقال في تفسير سورة العلق: «إنَّ عرشه، أو كرسيه وسع السَّمَاوَاتِ، والأرض،  
وإنه يجلس عليه؛ فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع، وإنه ليئطُّ أطيظ الرَّحْلِ الجديد  
برأكبه» (٣٩).

كما يعتقد ابن تيمية من أن الأصحاب، والسلف، والتابعين يرون أن الله تعالى في  
السَّمَاءِ على العرش، ويمكن الإشارة الحسيَّةِ عليه؛ فله مكانٌ، وجهَةٌ، وهذا يعني أنه  
جسمٌ، تعالى الله عمَّا يصفون علواً كبيراً.

## ٢. آراء العلامة الحليّ

### الأول: التأويل من منظار العلامة الحليّ

يؤمن العلامة من لا بديّة تأويل ظواهر النصوص القرآنيّة. ويرى عليه السلام من يريد الغوص في بطون القرآن؛ فينبغي له الدخول من باب التأويل. ويُعدّ العلامة من جملة من يقول: التأويل آله، ووساطة لفهم المعارف، والحقائق القرآنيّة.

ويعتقد عليه السلام لا يتيسّر لمس الحقائق القرآنيّة عبر معنى الألفاظ، والوقوف عليها فحسب؛ بل يفترض بالمشغل في هذا الحقل أن يستعين بالتأويل كي يلجّ إلى باطن المفاهيم القرآنيّة، وحينها تظهر الثمرة.

يختلف العلامة مع ابن تيميّة في اصطلاح التأويل عند المتأخرين؛ فالعلامة يُجيز الاستفادة من التأويل للآيات القرآنيّة كما هو مبين في سائر آثاره الكلاميّة، كما سجّل ملاحظاته على كلّ من اعترض طريق التأويل، وأثبتته عليه السلام بالأدلة النقلية، والعقلية.

وصرح العلامة في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

قال عليه السلام: «الاستدلال به من وجوه:

الأول: إنَّ النَّاسَ مِنْهُمْ مَقْلَدٌ، وَمِنْهُمْ مَقْلَدٌ.

والمقلد: إنَّهَا يَتَّبِعُ الْمُقْلَدَ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ ذَمَّ مَنْ يَتَّبِعُ الْمُتَشَابِهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَهَذَا مَنَعٌ مِنْ اتِّبَاعِهِ، وَغَيْرِ الْمُعْصُومِ يَجُوزُ فِيهِ ذَلِكَ؛ فَلَا يُوَثَّقُ بِقَوْلِهِ؛ فَتَنْتَفِي فَائِدَةُ الْخُطَابِ فَيَجِبُ الْمُعْصُومِ حَتَّى يَنْتَهِيَ التَّقْلِيدَ إِلَيْهِ.

الثاني: إنَّه تَعَالَى حَكَمَ بِعِلْمِ تَأْوِيلِهِ لِقَوْمٍ مَخْصُوصِينَ مَيَّزَهُمْ بِكُونِهِمْ رَاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، وَهَذَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَنْ الْمُعْصُومِ؛ إِذْ غَيْرُهُ لَا يَعْرِفُ حُصُولَ الصِّفَةِ فِيهِ.

الثالث: المراد بالخطاب بالمتشابه هو العمل أيضًا به، ولا يحصل الأمن من الخطأ في العمل به إلا من المعصوم؛ فيجب ولأنَّ الخطاب بالمتشابه مع عدم معصوم يجرم يقينًا بصحة قوله يستلزم الفتنة المحذّر منها؛ إذ آراء المجتهدين مختلفة فيه، ويقع بسبب ذلك الخطب، وعدم الصواب؛ فلا بدَّ من المعصوم ليتوصّل منه إلى العلم به.

الرابع: إنَّه يجب دفع الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ، وَرَدْعُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الْمُعْصُومِ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَا تَرْجِيحَ لِقَوْلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ؛ فَكُلُّ مَنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّ مَخَالَفَهُ كَذَلِكَ، وَذَلِكَ هُوَ الْفِتْنَةُ» (٤٠).

### الثاني: التّأويل ونطاقه في النّقل والعقل من منظار العلامة

يذهبُ العلامة إلى أن الدليل النقلي لا يفيد اليقين، قال: «أقول: اعلم أن مقدمات الدليل قد تكون عقلية محضة كالمقدمات المستعملة في بيان حدوث العالم، ووجود الصانع، وصدق الرسول صلى الله عليه وآله، وما أشبهها، وقد يكون مركبة عقلية، وسمعية كسائر السمعيّات؛ فإنّها مستندة إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله، وهو إحدى المقدمتين، وهي نقلية، وإلى

وجوب صدق قوله، وهي عقليّته، ولا يمكن أن يركّب من السمعيّات المحضّة؛ لأنّ السمعّيّ إنّما يكون حجّة بعد العلم بصدق المبلّغ، وتلك غير سمعيّة»<sup>(٤١)</sup>.

ومن هنا يُعلم أنّ مقدار دلالة النقليّ متفرّعة على الدليل العقليّ، ويمكن للأدلة النقلية بالاستناد للأدلة العقلية تأوّل، ويعدّ هذا دليلاً آخر على لزوم الاستفادة من الأدلة العقلية في معرفة الله، وأصول الدين.

والحاصل: ما قرّره العلامة هو أنّ ما يعضد الأدلة النقلية هي الأدلة العقلية؛ فالمقدّمات النقلية غير مفيدة لليقين، وأحياناً المقدّمات النقلية تعتمد على المقدّمات العقلية.

ومّا تقدّم يمكن معرفة سبب كون الأدلة النقلية فرعاً للأدلة العقلية؛ فالتأويل يُصار إليه في حالة أنّ النقل لم يثبت عن طريق العقل فحينها نأوّل النقل ليتوافق مع العقل.

### الثالث: الأسس الفكرية للعلامة الحليّ في صفات الله

بين العلامة في مبحث صفات الله تعالى موافقته الصريحة في التأويل، وأكد الاعتماد في ذلك على العقل القطعيّ؛ فلا يمكن أن ننسب لله سبحانه أنّه جسم، أو في جهة، أو أنّه يرى، و...

فما كان من الآيات، والأخبار التي ظاهرها مخالف للعقل نأولها؛ فلا يكون التعارض بين النقل، والعقل لدرجة اجتماع، أو ارتفاع النقيضين.

وقال العلامة في هذا السياق: «العقلاء كافة على ذلك خلافاً للكرامية حيث قالوا: إنّ الله تعالى في جهة فوق، ولم يعلموا أنّ الضرورة قضت بأن كل ما هو في جهة، فإنّما أن



يكون لا بثأ فيها، أو متحرِّكاً عنها؛ فهو إذن لا ينفك عن الحوادث، وكلُّ ما لا ينفك عن الحوادث؛ فهو حادثٌ» (٤٢).

والجديرُ ذكرُهُ هنا ما جاء في كتاب دراسات في منهاج السنَّة لابن تيميَّة: وكان ابن تيميَّة التفت إلى ما وقع فيه من التخبُّط والتناقض، وإلى كِبَر الكلمة التي خرجت من فيه؛ فاضطرَّ إلى التخلُّص، والتملُّص بالكذب!! فقال: «أمَّا قول القائل: الذي نطلب منه أن يعتقد: أن ينفي الجهة عن الله والتحيز؛ فليس في كلامي إثباتٌ لهذا اللفظ؛ لأنَّ إطلاق هذا اللفظ نفيًا، وإثباتًا بدعة، وأنا لا أقول إلا ما جاء به الكتاب والسنَّة، وأنفق عليه سلفُ الأُمَّة» (٤٣).

اللهمَّ إلا أن يكونَ قد نسيَ أقواله التي نقلناها آنفًا عن (منهاج السنَّة)!! لكن يكون قد حكَمَ بهذا الكلام على نفسه؛ فهو إذا مبتدع!!؛ ثمَّ إن كان لا يقول إلا ما جاء في الكتاب والسنَّة؛ فأين ورد فيهما لفظ (فوق سماواته) ونحوه ممَّا جاء في كلماته؟!، وكيف ينسب ما يقول إلى (سلف الأُمَّة)، ويردُّ على الذين يفسِّرون (العرش) بـ(الملك)، و(الاستواء) بـ(التمكُّن) قائلًا (٤٤): «هؤلاء ما قدرُوا الله حقَّ قدره، وما عرفوه حقَّ معرفته» (٤٥)، (٤٦).

وبحثَ العلامَة صفاتِ الله عند المتكلِّمين، والفلاسفة الإسلاميين؛ فما كان منهم إلا نفيُ الجسمانيَّة عن الله تعالى، وعدَّ القول بالتجسيم ضربًا من المحال، ونقد الآراء القائلة بالتجسيم، ومنشأ هذا القول هو عمد القدرة على التَّشخيص، وبالتالي هذا نحو من إنكار الضَّروريات الموجب لبطلان العقيدة، كما لا يخفى.

وقال ابن تيميَّة في هذا المجال: «أمَّا لفظ الجسم، والجوهر، والتحيز، والجهة، ونحو ذلك؛ فلم ينطق كتابٌ، ولا سنَّةٌ بذلك في حقِّ الله لا نفيًا، ولا إثباتًا، وكذلك

لم ينطق بذلك أحدٌ من الصّحابة، والتّابعين لهم بإحسانٍ، وسائر أئمّة المسلمين من أهل البيت، وغير أهل البيت، فلم ينطق أحدٌ منهم بذلك في حقّ الله لا نفيًا، ولا إثباتًا» (٤٧).

فهذه هي المرحلة الأولى... فيكون النّافي للجسميّة عن الله تعالى مخالفاً للكتاب، والسنة، وإجماع الصّحابة والتّابعين، وإجماع أهل البيت...

إذن، ليس لأحدٍ - لا من الشيعة ولا من السنة - أن يقول بنفي الجسميّة عن الله ﷻ (٤٨).

بل يصرّح بأنّ النّفي - كالأثبات - بدعة، فيقول: «والكلام في وصف الله بالجسم نفيًا، وإثباتًا بدعة، لم يقل أحدٌ من سلف الأئمة وأئمّتها إنّ الله ليس بجسم، كما لم يقولوا إنّ الله جسم» (٤٩).

وفي المرحلة الثانية... يقول منكراً على من يذمّ المجسّمة: «وأما ذكر التّجسيم وذمّ المجسّمة؛ فهذا لا يعرف في كلام أحدٍ من السّلف، والأئمّة، كما لا يعرف في كلامهم أيضًا القول بأنّ الله جسم، أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجسميّة نفي الجسم».

فهذا الكلام ميلٌ إلى الإثبات، وإلاّ فإنّه يناقض كلامه السّابق، في أنّ النّفي والإثبات كليهما بدعة (٥٠).

وفي ضوء هذه النصوص يتبيّن كيف أنّ ابن تيميّة يناقض نفسه. وتّضح أيضًا كيف ردّ العلامة على هذه العقائد، والآراء الخاوية، على القولين؛ أعني إثبات الجسميّة، والتوقّف من عدم وصفه.

ففي نظر العلامة من يتوقف في وصف الله بالجسمانية وعدمها ومنهم ابن تيمية يلزم منه أحد أمرين؛ إما أن يقول بالجسمانية، أو لا، وكلاهما باطل.

ومن هنا ذكر العلامة أدلة على جواز التأويل في صفات الله تعالى، والنافي للتأويل ما أن يتأمل ينجلي له وضوح الجواز، وإمكانه، وإلا نكون أمام عقدة، وهي مخالفة ظواهر النصوص لغيرها، وللعقل أيضاً.

### الرابع: استحالة رؤية الله تعالى

يعتقد العلامة أن ظواهر النصوص الدينية المخالفة للعقل، ينبغي أن تأول؛ لأن العقل مقدم على النقل، ومن هنا يؤول كل ما جاء من آيات، وأخبار في رؤية الله تعالى، ولا يمكن الاكتفاء بظواهر العبارات والألفاظ؛ بل ينبغي إعمال التأويل فيها.

كما استدلل العلامة على استحالة رؤية الله تعالى بالآيات، والأدلة العقلية، ويؤول ما ورد فيه الرؤية من الآيات، والأخبار.

ويرى العلامة لا بد أن تأول الآيات، والروايات ذات العلاقة برؤية الله تعالى، ويجب أن تُحمل على معانٍ تتناسب والمقام الربوبي لله سبحانه وتعالى؛ لأنه يخالف النصوص الدينية والعقل، والعقل قادرٌ على تأويل ظواهر النصوص.

### مقارنة بين نظرية ابن تيمية والعلامة في التأويل

تقدم بيان نظرية ابن تيمية، والعلامة في التأويل، وهنا نحاول أن نثبت أيهما الصحيح، وإليك بيان ذلك:

## الأوّل: التّأويل

إذا ما وضعنا كلتا النظريّتين في ميزان النّقد يتبيّن بنحوٍ بدهيٍّ خطأ ابن تيميّة وزلّته. قال الشّيخ محمّد هادي معرفة في هذا الإطار<sup>(٥١)</sup>: «وخطأه ابن تيميّة في حصره للتّأويل في العين الخارجيّة البحت؛ فإنّه مصداقٌ، وليس بتأويلٍ، إنّما التّأويل حقائق راهنة، هي مصالحٌ واقعيّة، وأهداف، وغاياتٌ مقصودةٌ من وراء التّكاليف، والأحكام، وكذا الحُكم والمواعظ والآداب، وحتّى القصص والأخبار، والآثار التي جاءت في القرآن...»<sup>(٥٢)</sup>.

وذكر الأستاذ العلامة الطباطبائيّ في توضيح معنى التّأويل، وعلاقته بالآيات القرآنيّة؛ فقال: «إنّ القرآن يدلُّ على جواز العلم بتأويله لغيره تعالى في الجملة - فيأنه: إنّ الآيات كما عرفت تدلُّ على أنّ تأويل الآية أمرٌ خارجيٌّ نسبته إلى مدلول الآية نسبة الممثل إلى المثل، فهو وإن لم يكن مدلولاً للآية بما لها من الدّلالة لكنّه محكيٌّ لها، محفوظٌ فيها نوعاً من الحكاية، والحفظ، نظير قولك: في (الصّيف ضيّعت اللبن) لمن أراد أمراً قد فوّت أسبابه من قبل؛ فإنّ المفهوم المدلول عليه بلفظ المثل، وهو تضييع المرأة اللبن في الصّيف لا ينطبق شيءٌ منه على المورد، وهو مع ذلك ممثّل لحال المخاطب، حافظٌ له بصوره في الدّهن بصورةٍ مضمّنة في الصّورة التي يعطيها الكلام بمدلوله»<sup>(٥٣)</sup>.

وقال<sup>(٥٤)</sup> في موضعٍ آخر: «فتأويل كلّ شيءٍ حقيقةٌ ينبع ذلك الشّيء منها، وذلك الشّيء بدوره يحقّق التّأويل، كما أنّ صاحب التّأويل بقاؤه بالتّأويل، وظهوره في صاحبه، وهذا المعنى جارٍ في القرآن الكريم؛ لأنّ هذا الكتاب المقدّس يستمدُّ من منابع، وحقائق ومعنويات قطعت أغلال المادّيّة، والجسمانيّة، وهي أعلى مرتبة من الحسّ، والمحسوس، وأوسع من قوالب الألفاظ، والعبارات التي هي نتيجة حياتنا المادّيّة»<sup>(٥٤)</sup>.

يَعُدُّ العَلَّامة الحِلِّيَّ خِلافًا لابن تيميَّة التَّأويل من مبادئ فهم القرآن، والنُّصوص الواردة عن طريق الوحي يأولها حصراً أهل بيت العصمة والطَّهارة عليهم السلام.

كما يعتقد عليه السلام بوجود الرُّجوع لأهل البيت عليهم السلام؛ لفهم الحقائق القرآنيَّة، الأمر الذي يلزم منه وجود إمام لكلِّ عصرٍ، وزمانٍ.

ويقرِّر عليه السلام أنَّ متعلِّق التَّأويل المُتشابهات، وهذه نظريَّة الشَّيعة الإماميَّة الاثني عشرية. وأكَّد العَلَّامة ضرورة حضور التَّأويل، والمنهج الكلاميِّ للتدبُّر في الآيات، ومنه تُبين العقائد والدِّفاع عنها، وردَّ الشُّبهات عليها.

### الثاني: صفات الله

اعتقد ابن تيميَّة بأصلين: وهما نصره القُدماء، والثَّاني توافق القرآن، والحديث مع العقل، أو أصل عدم التَّأويل بالمعنى الاصطلاحِيِّ، ومنه بحث صفات الله تعالى، وخلص إلى جواز رؤية الله واستوائه على العرش ومجيئه... وهذا مبتنٍ على منعه من التَّأويل كما أشرنا إلى ذلك سابقاً؛ فراجع.

نلاحظ ابن تيميَّة عند بحثه في صفات الله تعالى، وإثباتها، كيل أنواع التَّهم إلى مختلف المذاهب؛ كالشَّيعة، والمُعزلة، والجهميَّة، مع أنَّ ما ذكره لا ينسجم مع عقائدهم، ولا أحد منهم يقول به؛ فهؤلاء يثبتون لله كلَّ كمالٍ.

وهذه الأراجيف التي زعمها ابن تيميَّة لهم في لوازمها، ونتائجها تستلزم محدودية الله تعالى، وبالتالي نفيه؛ فكيف يمكن لمسلمٍ يبيِّزُ نفي الكمال عن الله تعالى؟!.

والأعجبُ من هذا أنَّ ابن تيميَّة نفسه ينفي الصِّفات عن الله سبحانه وتعالى، كما ذكرناه آنفاً، بينما يثبت الشَّيعة لله تعالى صفات الكمال، ويعدُّونها عين ذاته، وليست

زائدة عن ذاته، وهذا هو عين التوحيد، ومن لا يوصف الله ويقول لا يمكن ذلك ينعته الشيعة بـ(المعطلة)، كما ذهب إلى ذلك المعتزلة، وكذا الأشاعرة وإن كانوا يقولون بإمكان تعدّد القديم وتركيبه وإن كان النزاع مع الأشاعرة لفظياً في الحقيقة<sup>(٥٥)</sup>.

كما دأب الآخرون، ومنهم ابن تيميّة على الافتراء على الشيعة، والمعتزلة من أنّهم ينكرون صفات الله تعالى، مع أنّه ليس هناك في المذهب من يقول بهذا، كيف وقد صرح القرآن الكريم بذلك كصفة العلم، والقدرة، والحياة، والسّمع، والبصر، نعم هذه الصّفات؛ لا يوصف بها الله تعالى كما توصف بها المخلوقات لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٥٦)</sup>.

وفي ظلّ ما تقدّم يتّضح أنّ ابن تيميّة يعتمد في عقيدته في الصّفات الخبريّة على أصليّين هما:

١. ما ورد من الآيات، والأحاديث يحملها على المدلول الظاهريّ للفظ.

٢. كيفيّة هذه الصّفات غير معلوم، ولا تتحقّق كما تتحقّق في الإنسان.

يعتقد ابن تيميّة بهذين الأصليّين، إلّا أنّ الملاحظ أنّهما غير منسجمين؛ لأنّ الأصل الأوّل يقتضي المكان لله، والجهة، كما اعتقد ابن تيميّة أنّ الله جسم، وبالتالي ليس هناك توافق بين الأصليّين كما هو واضح.

فهو أمام أمرين: إمّا أن يقول بأنّ الله جسم، أو الكيفيّة غير معقولة، ولا مدرّكة، وكلا الاحتمالين باطل؛ لما تقدّم بيّأه.

بينما العلامة يخالف هذه النظريّة التي اتّبعها ابن تيميّة لاحقاً؛ فهو يعتقد بتأويل الصّفات الخبريّة، ويشبّتها عبر الأدلّة العقليّة، والنقليّة.

### الثالث: رؤية الله تعالى

اعتقد ابن تيمية أن الله يرى يوم القيامة، وزعم أن هناك دليلاً عقلياً على هذه الدعوى، وهو من شروط المرئي أن يكون موجوداً، لا معدوماً، ومعه فغير المرئيات هي الأمور العدمية، لا الوجودية<sup>(٥٧)</sup>.

ويلاحظ عليه: يلزم من رؤية الله تعالى القول بالجسمية؛ لوضوح أن كل مرئي هو جسم بلا شك، ومعه يكون الله جسماً، وهو باطل بالضرورة.

وأما ما يعتقده العلامة؛ فمن المحال رؤية الله تعالى، وأقام الأدلة النقلية والعقلية على هذا، وأول النقل الذي في ظاهره مخالف للعقل، من منطلق ما كان من النقل بعارض العقل يأول النقل، كما رد على من اعتقد الرؤية لله تعالى كالشاعرة والمجسمة<sup>(٥٨)</sup>.

وعليه فمن يعتقد برؤية الله تعالى في الدنيا، أو الآخرة؛ فإنه يعتقد أن الله جسم، بينما الشيعة تنفي الرؤية، وتنفي الجسمية، وهذه مصنفاً مشحونة بأدلة التفتيد، وإثبات الكمال لله تعالى؛ فراجع.

### الرابع: الله جسم أم ليس بجسم

قال ابن تيمية إنه لم يرد في كتاب الله، والسنة أن الله جسم، أو ليس بجسم، والتصريح بأنه ليس بجسم بدعة<sup>(٥٩)</sup>.

وعبر ما طالعناه من نصوص لابن تيمية يتضح أن عقيدته في الله تعالى أنه سبحانه في السماء على العرش، ويمكن الإشارة الحسية عليه؛ فله مكان، وجهة، وهذا يعني أنه جسم، ومن جهة أن الله ليس بجسم، ومنه يعلم ما وقع فيه من تناقض واضح.

وأما ما يعتقدُه العلامة أنّ الله ليس بجسمٍ، والأدلة العقلية قائمة على ذلك، كما ذهب العقلاء كافة لنفي الجسميّة عن الله تعالى.

كما نقد العلامة في مبحث صفات الله تعالى عقائد أبناء العامّة المبنيّة على عدم تأويل المتشابهات، ومن أنّها موكولة لعلمه تعالى، أقام عليه السلام أدلة عقلية على إمكان ذلك وجوازه، وما جرّ أبناء العامّة للقول بالتّجسيم هو جمودهم على ظاهر الآيات، والأخبار، وعدم تأويلها.

ويمكن الاستنباط من منظومة العلامة من أنّ أبناء العامّة لمّا نفوا التّأويل في الآيات، والأخبار وقعوا في محاذير، وهي:

١. ثبت عندهم أنّ الله جسمٌ.
٢. النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وهو المبعوث من الله تعالى، ليس لديه علمٌ.
٣. لا يعلم الرّاسخون بالعلم المتشابهات، وهم جاهلون بها.



## النتيجة

يُعدُّ ابن تيميَّة من الشَّخصيَّات البارزة عند أبناء العَامَّة، ومنهجَه الظاهريَّة في مبحث صفات الله الخبريَّة، ولا يعتقد بالتأويل المصطلح عند المتأخِّرين من أبناء جلدته، وعلى تعبيره يلزم منه التَّشبيه، أو التَّجسيم؛ فلا يبقى أمامه غير أنَّ الكيفيَّة مجهولة.

أمَّا العَلَّامة الحليُّ الذي يعدُّ من كبار علماء الشَّيعة، وعالم معروف، فهو يؤمن بخلاف ابن تيميَّة، أنَّ مدركات العقل القطعي هي معيارٌ لتأويل المعنى الظاهريِّ للنُّصوص الدينيَّة، كما أنَّ التأويل هو مفتاحٌ للمعارف، بطون القرآن وحقائقه، وأيضًا المعارف العميقة لأهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا كان علماء الشَّيعة، ومفسِّروهم في المباحث الكلاميَّة يستلهمون من أهل البيت عليهم السلام، والاتِّجاه العقليُّ أنتج عدم الانحراف، وعدم الوقوع في مغبَّة التَّشبيه، أو التَّجسيم.

## هوامش البحث

- (١) سورة آل عمران الآية: (٧).
- (٢) درء تعارض العقل والنقل: ١٤ / ١.
- (٣) لاحظ: هامش منهاج السنّة: ٢-٣.
- (٤) راجع: مجموعة تفسير ابن تيميّة: ٣٣٣.
- (٥) درء تعارض العقل والنقل: ١٥-١٦.
- (٦) انظر: مجموعة تفسير ابن تيميّة: ٣٦٠-٣٦٢.
- (٧) راجع: كلام جديد: ٦٦. (فارسيّ).
- (٨) التبصير في الدين: ٦٦-٦٧.
- (٩) منهاج السنّة ١ / ٢٥٨.
- (١٠) المصدر نفسه: ١ / ٢٤٢.
- (١١) الملل والنحل: ١ / ١٠٥.
- (١٢) أقول: لم أعر في كتب الشافعيّ على هذه العبارة، وإنّما وجدت جملة من المتكلمين استشهدوا بها للشافعيّ. انظر على سبيل المثال: ابن حجر في فتح الباري: ١٣ / ٣٤٣، والعظيم آبادي في عون المعبود: ١٣ / ٣٠. (د. عليّ الأعرجيّ).
- (١٣) جاء في تفسير ابن كثير: ٢ / ٢٣٠ «فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنّما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعيّ والثوريّ والليث بن سعد والشافعيّ وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمّة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف، ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبّهين منفيّ عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه». (د. عليّ الأعرجيّ).
- (١٤) الملل والنحل: ١ / ٩٢-٩٣.
- (١٥) الإلهيات: ١ / ٣٢٤.
- (١٦) لاحظ: العقيدة الواسطيّة: ٦٢.
- (١٧) الإكليل في المتشابه والتأويل: ٤٧.

- (١٨) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية: ٢٨/٥.
- (١٩) المصدر نفسه: ٢٧/٥، والعقيدة الحموية: ٤٢٨.
- (٢٠) الملل والنحل (للشيخ السبحاني): ٢٠٣/٤.
- (٢١) رحلة ابن بطوطة: ١١١-١١٢.
- (٢٢) سورة القيامة، الآية: ٢٢-٢٣.
- (٢٣) سورة المطففين، الآية: ٢٣.
- (٢٤) سورة يونس، الآية: ٢٦.
- (٢٥) لاحظ: منهاج السنة ٧٧/٢.
- (٢٦) وقد دافع الشريف المرتضى في كتاب الشافي عن هشام بن الحكم بما لا مزيد عليه، فمن أراد فليرجع إليه: الشافي في الإمامة: ٨٣/١.
- (٢٧) لاحظ: مجموعة تفسير ابن تيمية: ٢٥٩.
- (٢٨) راجع المصدر نفسه: ٢٦١-٢٦٢.
- (٢٩) من رام التوسُّع في هذا المجال بشكلٍ تفصيليٍّ عليه بمراجعة: الملل والنحل (للشيخ السبحاني): ١٩٩/٣.
- (٣٠) مجموعة تفسير ابن تيمية: ٦٧.
- (٣١) منهاج السنة ٢١٦/١.
- (٣٢) وأسوأ من ذلك أنه استدللَّ على ثبوت الجهة لله بطلب فرعون أن يصنع له مصعداً ليطلع إلى إله موسى، قال: والله قد أخبر عن فرعون أنه طلب أن يصعد ليطلع إلى إله موسى، فلو لم يكن موسى أخبره أن الله فوق، لم يقصد ذلك، فإنه لو لم يكن مقراً به فإذا لم يخبره موسى به لم يكن إثبات العلوِّ لا منه ولا من موسى عليه الصلاة والسلام، ثم قال: فموسى صدق محمداً في أن ربه فوق، وفرعون كذب موسى في أن ربه فوق، فالمقرُّون بذلك متبعون لموسى ولحمداً، والمكذَّبون بذلك موافقون لفرعون. منهاج السنة ٥٢٦/١. ويعلق الشيخ السبحاني على هذه الكلام يقول: ما الدليل على أن موسى أخبر فرعون بأن ربه فوق السماوات، وأيُّ دليلٍ على أنه لم يأخذه من مجسمة عصره؟! وأين هذا من كلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام، إذ يقول: «سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ليس كمثلته شيء، وهو السميع البصير، لا يُحدُّ ولا يُحسُّ ولا يُؤسُّ ولا يُمسُّ ولا تدركه الحواس، ولا يحيط به شيء ولا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد». وقد تضافر هذا التعبير عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في غير مكان.. رسائل ومقالات: ٧٣/٥ (السبحاني).

- (٣٣) منهاج السنّة: ٢١٧.
- (٣٤) المصدر نفسه: ٢٦٢.
- (٣٥) منهاج السنّة ١/ ٢٦٢.
- (٣٦) مجموع الفتاوى: ٥/ ٥١٩.
- (٣٧) منهاج السنّة: ١/ ١٦٧.
- (٣٨) الإكليل في المشابه والتأويل: ٤٧.
- (٣٩) مجموعة التفسير: ٣٥٤-٣٥٥.
- (٤٠) الألفين: ٩٨.
- (٤١) أنوار الملكوت في شرح الياقوت: ١٠-١١.
- (٤٢) نهج الحقّ وكشف الصدق: ٥٧.
- (٤٣) الفتاوى: ٣/ ٥.
- (٤٤) التفسير الكبير: ١/ ٢٧٠.
- (٤٥) دراسات في منهاج السنّة لمعرفة ابن تيميّة: ١١٢.
- (٤٦) وانظر أيضًا: نظرة في كتاب منهاج السنّة لابن تيميّة الحرّاني (ت ٧٢٨هـ)، للعلامة الأميني، إعداد أحمد الكناقي (وهو من فيض غديره)، فيه الوافي من الردود الجزلة، والآراء التي تبناها ابن تيميّة في مرصد منه، فليُنظر إليه. (د. عليّ الأعرجي).
- (٤٧) منهاج السنّة: ٢/ ٥٢٧.
- (٤٨) والحال إنّ الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في تنزيه الله سبحانه عن الجسميّة كثيرة جدًّا؛ فراجع خطب أمير المؤمنين في (نهج البلاغة) و(كتاب التوحيد) لابن بابويه، و(الكافي) للكليني وغيرها.
- (٤٩) الفتاوى: ٥/ ١٩٢.
- (٥٠) دراسات في منهاج السنّة لمعرفة ابن تيميّة: ١٣٩-١٤٠.
- (٥١) وهو ناظر وشارح لكلام العلامة الطباطبائي، فللعلامة بحث في هذا المجال راجع: الميزان: ٤٨/٣.
- (٥٢) التفسير والمفسّرون: ١-٣٥.
- (٥٣) الميزان: ٣/ ٥٢.
- (٥٤) القرآن في الإسلام: ٤٦-٤٧.
- (٥٥) لاحظ: دائرة المعارف الإسلاميّة الكبرى، تحت كلمة ابن تيميّة.

## أ. رؤيا الشهابي

- (٥٦) سورة الشورى، الآية: ١١.  
(٥٧) انظر: مع عقيدة السلف: ٢١٧.  
(٥٨) راجع: الرسالة السعدية: ٣٧.  
(٥٩) لاحظ: مجموعة تفسير ابن تيمية: ٢٥-٢٦.

## المراجع

١. ابن زرق بن سيرين، دائره معارف بزرك إسلامي (فارسيّة)، بإشراف السيّد كاظم الموسويّ البجنورديّ، مركز دائرة المعارف الإسلاميّة، طهران.
٢. أحمد بن عبد الحليم ابن تيميّة الحرّانيّ، منهاج السنّة في نقض كلام الشيعة والقدريّة، مطبعة الكبرى الأميريّة ببولاق مصر.
٣. مجموعة تفسير ابن تيميّة، تصحيح عبد الصمد شرف الدين، الدار القيمة.
٤. مع عقيدة السلف العقيدة الواسطيّة، تقديم مصطفى، دار الثقافة، دمشق.
٥. درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمّد رشاد سالم، دار الكتب.
٦. الإكليل في التشابه والتأويل، علّق عليه محمّد شحاته، دار الإبيان.
٧. ابن بطّوطة، محمّد بن عبد الله، رحلة ابن بطّوطة المسماة تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الدار النموذجيّة، بيروت، لبنان.
٨. جمال الدين الحليّ، الألفين في إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، دار الهجرة، قم، إيران.
٩. أنوار الملكوت في شرح الباقوت، تصحيح وتقديم محمّد النجفيّ الزنجانيّ، انتشارات دانشگاه، طهران.
١٠. الرسالة السعديّة، تحقيق عبد الحسين محمّد عليّ البقال، مكتبة السيّد المرعشيّ رحمته الله.
١١. نهج الحقّ وكشف الصدق، تعليق الشيخ عين الله الحسينيّ الأرمويّ، دار الهجرة، قم، إيران.
١٢. الحسينيّ الميلاييّ، عليّ، دراسات في منهج السنّة لمعرفة ابن تيميّة - مدخل لشرح منهاج الكرامة، (نشر المؤلّف).
١٣. خسرو بناه، عبد الحسين، كلام جديد (فارسيّ)، مركز مطالعات ويزوهش هاي فرهنگ.
١٤. السبحانيّ، جعفر، بحوث في الملل والنحل، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، إيران.
١٥. الطباطبائيّ، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مطبعة إسماعيليان، قم، إيران.
١٦. القرآن في السلام، جامعة المدرّسين الجوزة العلميّة، قم، إيران.
١٧. معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسّرون، مؤسّسة فرهنگي، التمهيد، قم.